مورده صدوراً . وكان أمر الله قدراً مقدوراً » (١)

واستقر أبو عبد الله في فاس في ظل بني وطاس ، وشيد بها قصوراً على طراز الاندلس رآها وتجول فيها المقرى مؤرخ الاندلس بعد ذلك بنحو قرن (١٠٣٧ هـ — ١٦٢٨ م) ، وقضى أعواما طوالا في غمر الحسرات والذكريات المفجعة ، وتوفى سنة ٩٤٠ هـ (١٥٣٤ م) . (٢) ودفن بفاس ، وترك ولدين هما يوسف وأحمد ، واستمر عقبه متصلا معروفا بفاس مدى أحقاب ، ولكنهم انحدروا قبل بعيد الى هاوية البؤس والفاقة ، ويذكر لنا المقرى انه رآهم سنة ١٠٣٧ هـ فقراء معدمين يعيشون من أموال الصدقات (٣) وفي بعض الروايات الاسبانية أن أبا عبدالله توفى قتيلا في موقعة نشبت بين السلطان احمد الوساطى وبني سعد الخوارج عليه في وادى أبي عقبة وقاتل فيها أبو عبد الله جانب أصدقائه بني وطاس وذلك سنة ٩٤٣ هـ (١٥٣٦ م) (٤) بيد أنها رواية ظاهرة الضعف لان أبا عبد الله يكون في هذا التاريخ قد جاوز السبعين ، ومن الصعب أن نصدق أنه يخوض مثل هذه المعارك الطاحنة بعد أن هدمه الاعياء والهرم ، هذا الى أن الرواية الاسلامية في هذا الموطن أدعى الى الترجيح والثقة

ويعرف أبو عبد الله آخر ملوك الاندلس بالملك الصغير (وبالاسبانية El Rey Chico) تمييزا له من عمه أبي عبدالله الزغل ، ويلقب بالزغيبي ، أو عاثر الحظ تنويها بما أصابه وأصاب الاسلام على يده من الخطوب والمحن

* * *

هذه قصة مصرع الاندلس ، وقصة آخر ملوكها

وصار ما كان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان

تم البحث محمد عبد الله عنان

---

(١) أورد المقري هذا الكتاب بعينه في نفح الطيب ج ٢ ص ١٢ — ٦٢٨ — وفي ازهار الرياض ص ٦٢ — ٨٢

(٢) وذكر المقرى في أزهار الرياض أنه توفى سنة ٩٢٤ هـ (ص ٥٨) وهي رواية خاطئة

(٣) نفح الطيب ج ٢ ص ٦١٧

(٤) راجع ايرفيج — في الملحق الخاص بنهاية ابي عبد الله — وراجع الاستقصا في تاريخ المغرب الاقصى للسلاوي ج ٢ ص ١١٨

المشتهى

بحث طريف لم ينشر

للعلامة المغفور له احمد تيمور باشا

ذكره المقريزى في خططه في كلامه على متنزهات الفاطميين ، ولكن الذى ورد عنه في النسخ التى اطلعنا عليها لا يعد وهذه الجملة المقتضبة « وكان من مواضعهم التى أعدت للنزهة المشتهى » وبعدها بياض متروك ، غير أن السيوطى نقل عنه في كوكب الروضة مانصه : « قال المقريزى كان من مواضع الخلفاء الفاطميين التى أعدت للنزهة المشتهى بالروضة وكانوا يركبون اليه يوم السبت والثلاثاء فيعم الناس من الصدقات أنواع مابين ذهب ومآكل وحلوى وغير ذلك » ولا ريب في أن هذه الزيادة من كلام المقريزى ، لأن السيوطى أعقب العبارة بقوله (انتهى) . وذكرها الشيخ عبد الغنى النجدي النابلسى في رحلته المسماة بالحقيقة والمجاز (١) عن المقريزى بهذا النص أيضا ، فالظاهر أنهما نقلاها عن نسخة من الخطط بها هذه الزيادة أو عن تاريخ المقريزى المسمى بالسلوك . ثم أوردا بعدها أبيات الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض التى منها :

وطنى مصر وفيها وطرى ولعينى مشتهاها مشتهاها

وقال الشيخ عبدالغنى النابلسى في شرحه لديوانه : المشتهى الثانى اسم كان في مصر تدخل اليه فرقة من ماء النيل وهو متنزه مشهورا . وله ذكر في الأشعار المصرية في حسن المحاضرة وغيره من كتب الأدب والتاريخ انتهى . قلنا نعم أكثر الشعراء من ذكره وأورد السيوطى في كوكب الروضة وحسن المحاضرة كثيراً من مقطعاتهم فيه ، ومنها قول ابن الفارض أيضاً مشيراً اليه والى المقياس والروضة وكان كثير التردد على المسجد الذى فيه أيام النيل

لقد بسطت في بحر جسمك بسطة أشارت اليها بالوفاء أصابع

فيا مشتهاها أنت مقياس قدسها وأنت بها في روضة الحسن يانع

ولكن الغريب ألا ترى في كتب التاريخ ذكراً لموضعه بالروضة ولا نعرف من خبره غير القليل الذى رواه المقريزى ، ولولا

---

(١) الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز للعلامة عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ كتاب مخطوط لم يطبع بعد ، وفيه فوائد كثيرة ، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية واثنتان عندنا .

السيوطى والنابلسى ماوصل الينا هذا القليل أيضاً . وطالما تلمسنا مزيدا من العلم به فلم نكن نحلو بطائل ، فقصرنا الجهد على تحقيق موضعه وعولنا فى ذلك على الوسيلة الباقية لدينا وهى مراجعة ما كتب عن آثار الجزيرة وتتبع ماوقع فى اسمائها من التغيير جيلا بعد جيل الى زماننا هذا رجاء ان نرى فى الباقى منها ماله صلة بهذا المتنزه تهدينا اليه . ولابد لنا فى الوصول الى ذلك من قطع المراحل الثلاث الآتية .

المرحلة الاولى

كان أول ماتنبهنا اليه فى هذا البحث أننا تذكرنا رباطا يسمى برباط المشتهى مر بنا اسمه أثناء المطالعة فقلنا إن ظهر أنه بالروضة فلا ريب فى أنه لم يشتهر بذلك الا لكونه بنى فى موضع من هذا المتنزه وقد تكون له بقية تهدينا الى موضعه . ثم بادرنا الى خطط المقريزى فرأيناه يقول عنه « رباط المشتهى . هذا الرباط بروضة مصر مطل على النيل وكان به الشيخ المسلك بهاء الدين الكازرونى(١) وقد ذكر شيخنا العارف الأديب شهاب الدين أحمد بن أبى العباس الشاطر الدمنهورى حيث يقول :

بروضة المقياس صوفية هم منية الخاطر والمشتهى
لهم على البحر أيادعلت وشيخهم ذاك له المنتهى(٢)

ثم رأينا السيوطى ذكره فى كوكب الروضة فنقل هذه العبارة عن الخطط ، ونقل عن تاريخ المقريزى (أى المسمى بالسلوك) أن بهاء الدين الكازرونى المذكور توفى بهذا الرباط ليلة الأحد الخامس من ذى الحجة سنة ٧٧٤ ثم نقل ترجمته عن إنباء الغمر للحافظ ابن حجر ونصها « محمد بن عبدالله الكازرونى الشيخ بهاء الدين قدم مصر فصحب الشيخ احمد الحريرى صاحب الشيخ ياقوت الحبشى (٣) تلميذ أبى العباس المرسى وانقطع بعده بالمشتهى من الروضة وكان الناس يترددون اليه ويعتقدونه ، وكان الشيخ أكمل الدين سيخ الشيخونية كثير التعظيم له ، وانقطع اليه البدر البشتكى وكتب له أشياء من تصانيف الشيخ محيى الدين بن العربى ، وكان يكثر الثناء عليه ، مات ليلة الاحد خامس ذى القعدة » انتهى . قلنا وقد وقفنا على ترجمته أيضا فى الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر المذكور فرأيناه أرخ وفاته بسنة ٧٧٣ أى بنقصان سنة واحدة عن قول المقريزى

ولم يزل لهذا الرباط بقية الى اليوم ، وذكره على مبارك باشا فى موضعين من خططه أحدهما فى مساجد الروضة باسم زاوية المشتهى (ج ١٨ ص ١٤) فنقل عبارة المقريزى والسيوطى ثم قال « وفى زماننا هذا يعنى سنة احدى وتسعين ومائتين وألف ، الزاوية المذكورة مشهورة بزاوية الشيخ الكازرونى وموضعها غربى سراية الخديو اسماعيل وبنتها سعادة والدة باشا والدة الخديو المذكور ، وأقام بها الشيخ على القشلان أحد المشاهير من رجال الطريقة القادرية ومعه سبعة دراويش ورتبت بها مولدا سنويا ، وفى كل شهر ثلاثمائة قرش ديوانية ورتبت لها من الشمع والبن والفحم والزيت ما يلزم لها يوميا » . والثانى فى كلامه على الرِّبَط (ج ٦ ص ٥٣) فذكره باسم رباط المشتهى ونقل عبارة المقريزى المتقدم ذكرها ثم قال « وهذا الرباط يعرف اليوم بجامع المشتهى وقد ذكرناه فى كتابنا المسمى مقياس النيل فارجع اليه ان شئت » انتهى . قلنا لم نر أحدا يعرفه اليوم بذلك بل هو معروف بزاوية الكازرونى كما ذكر فى عبارته الأولى . وقد زرنا هذه الزاوية فرأيناها تلاصق السور الغربى لقصر الخديو اسماعيل وحديقته ، وكان القصر بينها وبين النيل ، ولاريب فى أنها بقية الرباط وأن ساتره كان ممتدا فى جزء من موضع القصر حتى يكون مطلا على النيل كما ذكروه عنه فى التواريخ ، والباقى من هذا القصر الآن أطلال ماثلة شرقى الزاوية وفى حائطها الجنوبى قبة مدفون بها الكازرونى ، وعلى قبره تابوت من الخشب مغطى بستر أخضر من الجوخ عملته له أم الأمير حسين (١) ابن الخديو اسماعيل ، وفى الجانب الغربى من هذا الستر رقعة حمراء مكتوب فيها بالبياض (هذا مقام سيدى محمد الكازرونى) وفى جانبه الشرقى رقعة

(١) فى موضع (بهاء الدين الكازرونى) بياض فى نسخ الخطط التى بأيدينا ، ولكن العبارة منقولة عنها فى كوكب الروضة للسيوطى فأكملنا منه ما كان فى موضع البياض . (٢) فيه تورية باسم مكان كان بالروضة لا يسمى شيئاً سوى قول السيوطى فى كوكب الروضة : « والمنتهى ذكره المقريزى فى الخطط وقد يعنى له فلم يذكر فيه شيئاً » . وقد سكن به من الصوفية لسادة الوفائية « ثم ذكر ترجمة السيد محمد وفا الاكبر والد أهل البيت الوفائى المتوفى سنة ٧٦٥ .

(٣) كذا فى نسختين من كوكب الروضة وكان جنبيا ، فلا خطأ فى العبارة إلا أنه كان مشهوراً بالعرشى وكانت وفاته سنة ٧٠٧ بالاسكندرية وقبره بها معروف يزار .

(١) ولد سنة ١٢٧٠ وتولى سلطاناً على مصر فى ثانى صفر سنة ١٣٢٣ وتوفى ظهر الثلاثاء ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ .

مثلها مكتوب فيها (جددت هذا الستر دولتلو فادن أفندى (١) والدة دولتلو حسين كامل باشا ثانى نجل حضرة الخديو حالا ١٢٨٩) انتهى بنصه ورسمه . وليس بالزاوية اليوم الا خادم واحد ، واما الشيخ على القشلان القادرى شيخ صوفيتها فقد دفن فى الايوان الشرقى بالزاوية القادرية المسماة قديما بالزاوية العدوية والمعروفة الآن بجامع سيدى عُلَىّ (بالتصغير) خارج باب القرافة ، وقدمنا الكلام على هذا الجامع وما به من القبور فى ص ٢٩ — ٣٨ من رسالتنا (اليزيدية ومنشأ نحلتهم) ولما زرناه وقت تأليف الرسالة سألنا خدمته عما يعرفونه عن هذا الشيخ فأخبرونا أنه الذى كان مقيما بالمليل فى زاوية الكازرونى ومات من نحو خمس وأربعين سنة .

وموقع هذه الزاوية فى وسط الجزيرة بقرب شاطئ الشرق ، وكان المتنزه المسمى بالمشتهى ممتداً منها الى الجهة الشمال كما سنبينه فى المرحلة الثانية وربما كان ممتداً فى الجهة الجنوبية منها أيضاً .

المرحلة الثانية

فى هذه المرحلة نترك زاوية الكازرونى أو رباط المشتهى ونسير شمالا حتى نصل الى قرية صغيرة تعرف الآن بكفر قايتباى (٢) فنرى فى شمالها مسجداً ملاصقا لسورها يعرف بجامع قايتباى (٣) قد نقش على بابه اسم السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى وهو ثالث تغيير وقع فى اسمه ، فقد كان قديما يعرف بجامع الفخر باسم منشئه القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش المشهور بالفخر . وكان نصرانيا ثم أسلم وحسن اسلامه ومات سنة ٧٣٣ .

قال السيوطى فى كوكب الروضة ثم جدده الصاحب شمس الدين المقسى فصار يقال له جامع المقسى ونسى اسم الفخر ، ثم جدده سلطان عصرنا وزماننا الملك الأشرف أبو النصر قايتباى وابتدأ فيه سنة ٨٨٦ وعمل فيه ناعورة على وضع غريب بحيث تدور بحمار ينقل قدميه وهو واقف من غير أن يمشى ولا يدور وزكب عليها طاحونا فصار يسمى جامع السلطان ونسى اسم المقسى كما نسى اسم الفخر ثم زاد فيه سنة ٨٩١ وأنشأ حوله الغراس والعمائر الحسنة فعمرت تلك البقعة وأحييت الروضة بعد ما كادت تدرس محاسنها انتهى المراد منه (١) . قلنا ثم نزل به جلال الدين السيوطى المذكور أو سكن قريبا منه فعرف به ثم عاد إليه اسم قايتباى لبقاء اسمه منقوشاً على بابه : وفى تاريخ الجبرتى (ج ٣ ص ١٩١ طبع بولاق) خبر حريق وقع بهذا المسجد سنة ١٢١٦ يقول عنه فى حوادث يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول « وفى ذلك اليوم احترق جامع قايتباى الكائن بالروضة المعروف بجامع السيوطى ، والسبب فى ذلك أن الفرنسيس كانوا يصنعون البارود بالجنينة المجاورة للجامع فجعلوا ذلك الجامع مخزنا لما يصنعونه فبقى ذلك بالمسجد وذهب الفرنسيس وتركوه كما هو وجانب كبريت فى أنخاخ أيضا فدخل فلاح ومعه غلام وبيده قصبة يشرب بها الدخان وكأنه فتح ماعونا من ظرف (٢) البارود ليأخذ منه شيئا ونسى المكين القصبة بيده فاصابت البارود فاشتعل جميعه وخرج له صوت هائل ودخان عظيم واحترق المسجد واستمرت النار فى سقفه بطول النهار واحترق الرجل والغلام » . وقد ذكر على باشا مبارك هذا المسجد فى ثلاثة مواضع من خططه أولها فى الجزء الخامس ص ٦٧ باسم جامع الفخر فى كلامه على جوامع القاهرة عامة فى حرف الفاء ،

---

(١) كان المتبع فى الاسرة المحمدية العلوية تلقيب بنات أمرائها بفادين أفندي إذا كن من الجواري الجركسيات على ما كان متبعا أيضا فى الاسرة السلطانية العثمانية ومعنى فادين قسيدة ، وأفندى المولى والامير ، فالمراد مولاتنا السيدة . وأما اذا كن من بنات الامراء بقى لهن لقب الاميرات وهو هانم أفندي . وصهراه خانم مؤنث خان والمعنى مولاتنا الاميرة . . أما الذكور فكانوا يلقبون بالبك الى أن يرقوا الى رتبة الباشا ويخاطبون بأفندينا أى مولانا وأميرنا ، ثم لما كثر الاختلاط بالافرنج فى العصر الاسماعيلى اتبعوا بعض ألقابهم فزيد على ألقاب الذكور (البرنس Prince) وعلى ألقاب الاناث (البرنسيس Princesse) ومعناهما الامير والاميرة ، فكان يقال أفندينا البرنس فلان بك أو باشا والبرنسيس فلانة هانم أفندي . وقد أدركنا استعمال هذه الالقاب الى أن اقتصر فى النظام الجديد للاسرة على تلقيبهم بالامراء والاميرات وخصت طائفة منهم بالتبلاء على ما هو مبين فى النظام المذكور .

(٢) و (٣) وبلسان العامة (قايد يه) .

(١) يظهر أن قوله (سنة ٨٩١) محرف عن ٨٩٦ أو أن يكون العمل استمر فيه بالاكمال التحسين الى سنة ٨٩٦ فقد جاء عنه فى تاريخ ابن إياس فى حوادث رجب من تلك السنة ما نصه : « وفيه كان انتهاء العمل من جامع السلطان الذي أنشأه بالروضة وجاء فى غاية الحسن ، وكان البدري حسن بن الطولوني معلم المعلمين يصنع فى كل ليلة رابع عشر الشهر ليلة حافلة بالجامع ويسمونها البدرية وينصب على شاطئ البحر قدام الجامع من الخيام ما لا يحصى وتجتمع المراكب هناك حتى تسد البحر ويجتمع الخلق الغفير من العالم ويوقد بالجامع وقدة عظيمة ويحضر هناك قراء البلد قاطبة والوعاظ وتكون ليلة حافلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم ، واستمر الحال على ذلك مدة ثم بطل هذا الامر » انتهى . وابن الطولوني المذكور كان كبير المهندسين فى ذلك الزمن وتوفى سنة ٩٢٣ هـ كما فى تاريخ ابن إياس (ج ٣ ص ١٠٧) .

(٢) لعل الصواب من ظروف .

والثانى فى ص ٦٩ من هذا الجزء فى حرف القاف باسم جامع قايتباى بالروضة ، والثالث فى الجزء الثامن عشر ص ١٣ فى كلامه على جوامع الروضة خاصة وقال فى الموضع الثانى عن الحريق الذى وقع به ما نصه « ثم بعد مدة جدد ما احترق منه واقيمت شعائره الى الآن وكان يعرف أيضا بجامع السيوطى لاقامة الشيخ جلال الدين السيوطى فيه أيام نزوله بالروضة » انتهى

قلنا وقد وصلنا فى هذه المرحلة الى أن مسجد قايتباى كان يعرف بجامع السيوطى لنزوله فيه أو لتردده عليه بسبب سكناه بجواره واذا رجعنا الى مترجمى هـذا الامام نراهم متفقين على اقامته فى أواخر أيامه بالروضة ووفاته بها بعد أن مرض أسبوعا وصرح الاسدى فى طبقات الشافعية بوفاته سنة ٩١١ بالروضة بالمشتهى وعلى هـذا فمسجد قايتباى والاماكن المجاورة له كانت داخلة فى حيز هذا المتنزه أيضا وكذلك ما بينها وبين زاوية الكازرونى من المواضع . غير أن قول الاسدى كما يحتمل هذا الوجه فانه يحتمل أيضا أن يكون مراده بالمشتهى رباط المشتهى المعروف بزاوية الكازرونى على تقدير أن يكون السيوطى انتقل اليه وسكنه قبل وفاته وتوفى به ولكنا نرجح الأول لبعض مرجحات اطمأننا اليها : منها أنه الأشبه بما كان عليه هذا المتنزه من العظم المظنون فى أمثاله من متنزهات الخلفاء الفاطميين إذ لا يعقل أنه كان محصوراً فى بقعة ضيقة لا تتعدى مكان الرباط وما حواليه ، ولهذا نرجح أنه كان ممتداً فى الجهة الجنوبية لهذا الرباط أيضا وهو ما سنعالج تحقيقه فى المرحلة الثالثة .

المرحلة الثالثة

إذا تركنا زاوية الكازرونى وسرنا فى الجهة الجنوبية منها فانا نصل الى زاوية تعرف بزاوية الأباريق واقعة على قيد غلوة منها شمالى قصر على باشا شريف بجانب السور المحيط بحديقته وكانت قديما مسجدا جامعا أنشأه قائد القواد غبن (١) أحد خدام الحاكم بأمر الله الفاطمى فعرف به كما فى كوكب الروضة للسيوطى قال وقد صار يسمى الآن جامع الأباريق بولى مدفون بجواره ونسى اسم غبن فلا يعرفه الآن أحد إلا من له نظر فى التواريخ انتهى . وذكر على باشا مبارك فى خططه أن هذه الزاوية بنيت على جزء من جامع غبن وجددها أخيراً على باشا شريف ابن شريف باشا . قلنا وقد زرناها فرأينا على بابها كتابة منقوشة فى الحجر نصها : « مقام سيدى احمد الاباريق ، أنشأ هذا المسجد سعادة عبد الحميد بك شريف فى غرة شهر شعبان المكرم من سنة ١٣٢٧ هجرية ، وبداخلها من الغرب قبة على حجرة بها ضريح الشيخ وعليه ستر أخضر عمله له عبد الحميد بك المذكور سنة ١٣٢٨ ، ثم توفى بعد ذلك بقليل وهو ابن على باشا شريف المتقدم ذكره وقد يكون المراد بانشائه هذا المسجد اصلاح ما تشعث فيه من بناء والده - وفى هذه الزاوية صلوا على الامام السيوطى لما شيعوا جنازته من الروضة الى حوش قوصون قال الاستاذ الشعرانى فى ترجمته بذيل طبقاته « ثم بعد شهر سمعت ناعيه ينعى موته فحضرت الصلاة عليه عند الشيخ أحمد الأباريق بالروضة عقب صلاة الجمعة وفى سبيل المؤمنين عند الجامع الجديد بمصر العتيقة » .

فيتضح مما تقدم أن زاوية الكازرونى المسماة قديما برباط المشتهى واقعة بلا ريب فى موضع من هذا المتنزه ويعلم من موقعها أنه كان فى وسط الجزيرة على الشاطىء الشرقى منها ويدخل فيه ما فى شمالى هذه الزاوية من المواضع الى جامع قايتباى . ثم اذا صح أن هذه الزاوية واقعة فى وسط المشتهى كما يغلب على الظن كان أيضا ممتداً فى الجهة الجنوبية منها الى زاوية الأباريق أى فيكون موقعه فيما بين الأباريق وجامع قايتباى وربما كان زائداً عن ذلك جنوبا وشمالا والله أعلم

تتمـــة

فى توضيح أماكن ذكرت أسماؤها بالمصور (١)

منها جامع عبد الرحمن بن عوف فان العامة تزعم أن القبر الذى به للصحابى المشهور أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم والصواب أنه مدفون بالبقيع وبهذا المسجد قبر آخر دفن فيه حسن باشا المناسترلى الذى كان كتخدا مصر زمن عباس باشا الكبير أى وزيراً للولاية وهو من المساجد القديمة بالروضة أنشأه بدر الجمالى زمن المستنصر الفاطمى وكان يسمى جامع المقياس ثم جدده الصالح نجم الدين أيوب ثم هدمه المؤيد شيخ ووسعه

(١) فى خطط المقريزى أن الحاكم بأمر الله غضب عليه فقطع إحدى يديه وذلك سنة ٤٠٤ قطع الأخرى ثم قطع لسانه . وفى الانتصار لابن دقاق أنه مات بعد ذلك سنة ٤٠٥ وقد ورد اسمه مرسوماً بالياء الموحدة فى نسختين من كوكب الروضة وورد بالمثناة التحتية فى نسخ الخطط المقريزية المطبوعة ورأيت فى نسخة عندى مخطوطة من الاشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفى نصا على أنه « بالياء الموحدة التحتية » ولم يذكر هذا النص فى النسخة المطبوعة من هذا الكتاب فالظاهر أنها حاشية كتبها بعضهم على النسخة فأدخلها الناسخ فى الاصل وعلى أى حال فهو نص يصح لنا الاعتماد عليه حتى نقف على ما يناقضه .

(١) لم نجد هذا المصور مع المقالة

و لم يتمه فاتمه بعـــده الظاهر جقمق ثم عمره قانصوه الغوري ثم خرب وانتهك الفرنسيس حرمته زمن احتلالهم لمصر ثم جددحسن باشا المناسترلي البناء القائم منه الآن على الجزء الشمالي منه ولما توفي دفن فيه وكان في الاصل كبيرا ممتداً من الجنوب الى الشاطئ. ومتصلا بالدرج التي كانت على النيل وهي التي تزعم العامة ان موسى عليه السلام قذف منها بتابوته في اليم ،ويرى الفرنسيس في كتابهم (وصف مصر) ان أبا جعفر النحاس رمى من هذه الدرج في النيل لما جلس عليها يقطع بيتاً من الشعر لظنهم أنه يسحر النيل (١).

ومنها زاوية أبي يزيد البسطامي فان العامة تزعم أيضا أنه مدفون بها والصواب أنه مدفون ببسطام وقبره معروف بها كما في معجم البلدان لياقوت ، واسمه طيفور ووفاته سنة ٢٦١ أو ٢٦٤ كما في وفيات الأعيان لابن خلكان . وانما نسبت هذه الزاوية للبسطامي لأن بانيها من ذريته وهو الشيخ محمد بن أصيل بن مهدي الهمذاني ثم جعلها فتح الدين صدقة بن زين الدين أبي بكر رئيس الخلافة جامعاً في حدود سنة ٧٧٠ فعرفت بجامع الريس وهي معروفة اليوم بزاوية البسطامي .

ومنها جامع الديربي وهو الشيخ عبد العزيز الديربي المتوفى سنة ٦٩٤ فانهم يزعمون أنه مدفون به والصواب أنه مدفون بديربن وقبره بها معروف يزار كما في المنهل الصافي وطبقات الشعراني

ومنها مقام الأربعين ولا مقام بهذا المكان وانما هي شجرة سدر تعتقد العامة فيها ذلك ، وقد وضع سدنتها بجوارها زيراً وأكوازاً لشرب الزوار والسابلة

ومنها شجرة المنذورة وهي من الجميز وللعامة فيها اعتقاد ومزاعم غريبة والظاهر أن اسمها محرف عن المنذورة بالذال المعجمة والمراد المنذور لها والله اعلم

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس النحوي المصري المتوفى سنة ٣٣٨ أو ٣٣٧ ترجمه ابن خلكان وقال عن سبب وفاته : « إنه جلس على درج المقياس على شاطئ النيل وهو في أيام زيادته وهو يقطع بالعروض شيئا من الشعر فقال بعض العوام هذا يسحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الاسعار فدفعه برجله في النيل فلم يوقف له على خبر » .

عثمان بن ابي العلاء

الرجل الذي غزا الاسبان ٧٣٢ غزوة

للدكتور عبد الوهاب عزام

ملك بنو مرين بعد المغرب الأقصى ، وورث دولة الموحدين .

وهذا سلطانهم السادس يوسف بن يعقوب بن عبد الحق (٦٨٥ — ٧٠٦ هـ) يسير الجحافل لتمكين ملكه ، ويجتهد ليكسو الدولة المرينية رونق الحضارة ، وبهاء الملك ، ولكن جماعة من بني مرين حسدوا بني عمومتهم على السلطان ، ونفسوا عليهم الرياسة ، وزعموا أنهم أحق منهم بميراث عبد الحق فثاروا على السلطان يوسف ، واعتصموا بجبال ورغة ، فأنزلهم السلطان من صياصيهم وألجمهم السيف . فأشفق أعياص بني مرين على أنفسهم ولحقوا ببني الأحمر بالاندلس سنة ٦٨٦

ثم رجع الى المغرب بعد سنين أحدهم : عثمان بن أبي العلاء ادريس ابن عبد الله بن عبد الحق ، ليناز ع بني عمه السلطان ، فثار في جبال غمارة فاشتملت عليها ناره واستطارت منها ثورته ، فعمت بلاداً كثيرة ، ولجأ اليه كل مخالف من بني مرين وغيرهم .

ومات يوسف وعثمان في ثورته فخلفه ابنه أبو ثابت (٧٠٦ — ٧٠٨) فسير الجحافل الى عثمان فهزمهم ، ومد على رغم أبي ثابت سلطانه الى بلاد أخرى فنهض أبو ثابت نفسه في جنود لا قبل لعثمان بها فخلى البلاد واعتصم ببسته ، وهي يومئذ في قبضة بني الاحمر

ومات أبو ثابت فخلفه أخوه أبو الربيع سنة ٧٠٨ واصطلح بنو مرين وبنو الاحمر فضاق المغرب على عثمان بن أبي العلاء فولى وجهه شطر الاندلس فيمن تبعه من قرابته .

* * *

لم يكن للمسلمين في الاندلس الا مملكة غرناطة الضيقة وقد ألح العدو عليها وصمم على محوها . واستماتت في الدفاع عنها المسلمون اذ كانت الملجأ الأخير ، والوزر الذي ليس وراءه الا الموت أو الاستعباد . وكان بنو مرين يرسلون جيوشهم مدداً لبني الاحمر حينا ، ويسيرون الى الجهاد بأنفسهم حينا . وكان أولو النجدة